عناية السُّنَّة النَّبويَّة بالعمل الخيري في خدمة البيئة

إعداد الدكتور

محمد عويس عبد الرحيم محمود

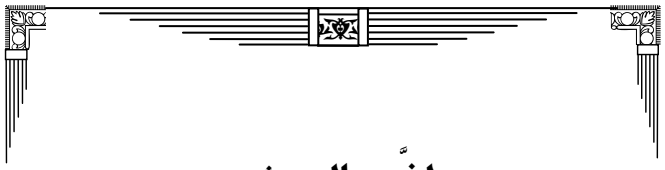

ملخَّص البحث

المنهج الإسلامي في العمل الخيري والدعوة إليه، ووضع قواعده وأحكامه منهج راسخ ثابت، يرتكز علىٰ أصلين راسخين هما: القرآن والسُّنَّة النَّبويَّة، وهو منهج يمتاز بشموليته وتكامله وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان، حتىٰ قيام الساعة. ومن ثمَّ يحاول البحث أَنْ يقدِّم رؤية متكاملة لعناية السُّنَّة النَّبويَّة بالعمل الخيري في مجال خدمة البيئة.

ويُبين عناية السُّنَّة النَّبويَّة في ترسيخ العمل الخيري في خدمة البيئة والتأصيل له.

ويرصد معالم المنهج النبوي في العناية بالعمل الخيري في خدمة البيئة.

❁ وقد خَلُصَ البحث إلى عدة نتائج من أهمها:

١- المنهج النبوي في ترسيخ العمل الخيري والدعوة إليه، منهج يهدف إلىٰ تحقيق المصالح العامة للأمة، ويمتاز بالشمولية والتكامل، وبالتالي صلاحيته للتطبيق العملي في كل زمان ومكان حتىٰ قيام الساعة.

٢- قدمت السُّنَّة النَّبويَّة حلولًا عملية وإجرائية في مجالات خدمة البيئة من خلال عنايته ﷺ بالعجماوت والطير، والحثّ علىٰ الغرسِ والزرعِ ومحاربة كل

أشكال التصحر، والدعوة إلىٰ نظافة البيئة واتخاذ كل الوسائل التي تكافح التلوث بجميع صوره وأشكاله، كما وجدنا السُّنَّة النَّبويَّة تولي عناية خاصة بالماء والمحافظة عليه؛ ليتحقق التوازن البيئي المنشود، كما أولت السُّنَّة النَّبويَّة عناية فائقة في سبيل نشر الثقافة الصحية ومكافحة تلوث الهواء.

٣- سبقت السُّنَّة النَّبويَّة في مجالات العمل الخيري في خدمة البيئة، ما فطنت إليه المنظمات البيئية في وقتنا الحاضر.

مقدمة البحث

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الخلق نبينا محمد ﷺ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإنَّ العمل الخيري فطرة إنسانية، فطر الله النَّاس عليها منذ بدء الخليقة وحتىٰ قيام الساعة؛ لذا تتوالىٰ أعمال البر والعطاء والإغاثة والتطوع في المجتمع الإنساني، ولم يخلُ عصر من العصور من الأعمال الخيرية.

والمنهج الإسلامي في العمل الخيري والدعوة إليه ووضع قواعده وأحكامه، منهج راسخ ثابت، يرتكز علىٰ أصلين راسخين هما: القرآن والسُّنَّة النَّبويَّة، وهو منهج يمتاز بشموليته وتكامله وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان حتىٰ قيام الساعة.

❁ **أهمية البحث وحيثياته:** تكمن في أنه:

- يحاول أَنْ يقدِّم رؤية متكاملة لعناية السُّنَّة النَّبويَّة بالعمل الخيري، في مجال خدمة البيئة.

- يحاول إبراز الجوانب التطبيقية لرسول الله ﷺ في عنايته بالعمل الخيري في خدمة البيئة.

- يحاول دراسة نصوص السنة التي تُعنىٰ بالعمل الخيري في مجال خدمة

البيئة، دراسة شاملة تعتمد علىٰ طرق الاستنباط الصحيح.

❁ **أهداف البحث:** تكمن في أَنَّه:

١- يُبين عناية السُّنَّة النَّبويَّة بترسيخ العمل الخيري في خدمة البيئة والتأصيل له.

٢- يرصد معالم المنهج النبوي في العناية بالعمل الخيري في خدمة البيئة.

٣- يكشف عن مجالات العمل الخيري في خدمة البيئة، وأثره في الإصلاح المجتمعي.

٤- يُقدِّم بعض المقترحات التي تساهم في زيادة فاعلية العمل الخيري في خدمة البيئة.

❁ **منهج البحث:**

يقوم هذا البحث علىٰ الاستقراء والتحليل والاستنباط من خلال تتبع صور العناية بالعمل الخيري في مجال خدمة البيئة، المبثوثة في نصوص السُّنَّة النَّبويَّة، واستخراج فوائدها بما يحقق غايات البحث.

❁ **الدراسات السابقة:**

تزخر المكتبة الإسلامية بمؤلفات جمَّة، تحمل في ثناياها كتابات عن العمل الخيري ومجالاته والدعوة إليه، ولعلّ أقرب الدراسات التي اطلعتُ عليها ووجدتها تتلاقىٰ مع بحثي في بعض النقاط ما يلي:

١- «العمل التطوعي في السُّنَّة النَّبويَّة دراسة موضوعية» للباحثة: رندة محمد زينو، رسالة ماجستير في الحديث وعلومه، مخطوطة بكلية أصول الدين بالجامعة

الإسلامية بغزة سنة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٢- «مجالات العمل التطوعي في السُّنَّة النَّبويَّة» للدكتور محمد عبد الرازق أسود، بحث منشور بحولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، السنة السابعة، العدد (٢٥).

٣- «دور المؤسسات الخيرية في التنمية الاجتماعية»، (مؤسسة الشيخ زايد للأعمال الخيرية والإنسانية أنموذجًا) رسالة ماجستير مخطوطة بكلية العلوم الإنسانية جامعة الوادي بالجزائر ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م تخصص معاملات مالية معاصرة.

٤- «معالم الرحمة بالبيئة ومكوناتها في السُّنَّة النَّبويَّة الشريفة»، للدكتور محمد عبد القادر الفقي، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام بقسم الدراسات الإسلامية- كلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨ – ٢٩ / ٤ / ١٤٣٧هـ، ٧ – ٨ فبراير ٢٠١٦م المجلد الثامن.

٥- «الرحمة بالعجماوات في السُّنَّة النَّبويَّة»، للدكتور محمد عويس عبد الرحيم، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام بقسم الدراسات الإسلامية- كلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨ – ٢٩ / ٤ / ١٤٣٧هـ، ٧ – ٨ فبراير ٢٠١٦م المجلد الثامن.

٦- «العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل»، للدكتورة فاتحة فاضل العبدلاوي، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي في الفترة ٢٠ – ٢٢ يناير سنة ٢٠٠٨م.

٧- «العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني»، للدكتور عبد الملك منصور، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي في الفترة ٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨م.

٨- «العمل التطوعي نظرة تأصيلية فقهية تأريخية»، للدكتور أحمد بن حسين بن أحمد المباركي، بحث منشور بمجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العدد (٣٥).

❁ خطة البحث:

ينتظم البحث مقدمة، وتمهيدًا، ومبحثين، وخاتمة على النحو التالي:

- **المقدمة:** أهمية الموضوع، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.
- **التمهيد:** العمل الخيري: ماهيته ومجالاته.
- **المبحث الأول: تأصيل العمل الخيري في الإسلام**

ويأتي في ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تأصيل العمل الخيري من خلال القرآن الكريم.
- **المطلب الثاني:** تأصيل العمل الخيري من خلال السُّنَّة النَّبويَّة.
- **المطلب الثالث:** تأصيل العمل الخيري من خلال أعمال الصحابة والتابعين وتابعيهم.

- **المبحث الثاني: معالم المنهج النبوي في العناية بالعمل الخيري في خدمة البيئة.**

ويأتي في خمسة مطالب على النحو التالي:

- **المطلب الأول:** في العناية بالعجماوات والطير.
- **المطلب الثاني:** في العناية بالغرس والزرع ومحاربة التصحر.
- **المطلب الثالث:** في الاهتمام بنظافة البيئة وإماطة الأذىٰ عن الطريق.
- **المطلب الرابع:** في المحافظة علىٰ الماء والمجاري المائية.
- **المطلب الخامس:** في مكافحة تلوث الهواء ونشر الثقافة الصحية.

- **الخاتمة: النتائج والتوصيات.**
- **المصادر والمراجع.**

وفي النهاية أبتهل إلىٰ الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وينفع به كاتبه وقارئه، ويفتح به بابًا من أبواب الخير لنشر السنة الصحيحة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد
العمل الخيري: ماهيته ومجالاته

❁ أولًا: ماهية العمل الخيري:

يُعدُّ العمل الخيري ركيزة أساسية من ركائز الإسلام، ودعامة أساسية تقوم عليها عقيدة المسلم، ومن يتدبَّر ما قاله العلماء حول العمل الخيري يدرك أنَّ مفهوم العمل الخيري يتسم بالاتساع، ولا يمكن حصره فقط في تقديم المساعدات المادية للمحتاجين. ومن هذه المفاهيم:

- ما ذكره الدكتور عبد الكريم بكار بقوله: «العمل الخيري: هو كل مال أو جهد أو وقت يُبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم»[1].

- ما قدَّمه الدكتور محمد جواد مهدي بقوله: «وردت عدة تعريفات للعمل الخيري في عدد من المصادر والمراجع، وتؤلِّف من مجموعها هذا التعريف الجامع، العمل الخيري هو: عمل يشترك فيه جماعة من الناس؛ لتحقيق مصلحة عامة، أو أغراض إنسانية أو دينية أو علمية أو صناعية أو اقتصادية، بوسيلة جمع التبرعات وصرفها في أوجه الأعمال الخيرية؛ بقصد نشاط اجتماعي أو ثقافي أو

(١) د. عبد الكريم بكار: ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها وكيف نعممها؟! صـ١٢، ط. الأولىٰ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة سنة ٢٠١١م.

إغاثي بطرق الرعاية أو المعاونة ماديًا أو معنويًا داخل الدولة وخارجها من غير قصد الربح لمؤسسيها سواء سُمي إغاثة أو جمعية أو مؤسسة أو هيئة أو منظمة خاصة أو عامة»[1].

مما سبق يتضح لنا أنَّ للعمل الخيري مفهومًا واسعًا، ويشمل كل عمل تطوعي يقوم به الفرد من أجل الآخرين، وهذا هو جوهر الأديان السماوية ولا سيما الإسلام.

❁ الفرق بين الإحسان والعمل الخيري:

ونحن- في هذا البحث- لا نريد مخاطبة أنفسنا فقط، بل نريد مخاطبة الآخر في أوروبا وأمريكا؛ لذلك من المفيد هنا أَنْ نعرِّج علىٰ مصطلحين متمايزين عندهم، وعلىٰ مفهومهم لهذين المصطلحين، فنفرِّق بين مفهوم «**الإحسان**» من جهة، ومفهوم «**العمل الخيري**» من جهة أخرىٰ، يقول إبراهيم البيومي غانم: «يختلف فهم العمل الخيري في تجارب المجتمعات الغربية بتباين الخلفيات التاريخية والأعراف الخاصة بكل دولة، أو بكل مجموعة من الدول. ففي إنجلترا مثلًا يُستخدم مصطلح الإحسان (Charity) كمرادف لمصطلح العمل الخيري (Philanthropy) وقد استمر المصطلح الأخير مرتبطًا بتصورات العصر الفيكتوري عن سخاء وعطف الطبقات العليا في المجتمع علىٰ الطبقات الدنيا. أمَّا في الولايات المتحدة فهناك تمييز بين المفهومين، إذ يشير الإحسان إلىٰ المنح والعطاء المتوجه لمعالجة نتائج مشكلة أو قضية ما، في حين أنَّ العمل الخيري

(١) د. محمد صالح جواد مهدي: العمل الخيري دراسة تأصيلية تاريخية، صـ ٢١٢، مجلة سُرَّ من رأىٰ، المجلد الثامن، العدد (٣٠) السنة الثامنة، جامعة سمراء- بغداد سنة ٢٠١٢م.

يوجه موارده لمعالجة أسباب المشكلة من جذورها والوقاية منها وتفادي وقوعها»[1].

ويقول الدكتور عبد الكريم بكار: «وفي بعض الدول- مثل الولايات المتحدة الأمريكية- يتم التفريق بين الإحسان والعمل الخيري، حيث إنهم يطلقون كلمة (الإحسان) علىٰ الجهود الرامية إلىٰ معالجة آثار مشكلة من المشكلات والتعامل مع قضية من القضايا الراهنة. أمَّا (العمل الخيري) فيتجه إلىٰ معالجة جذور المشكلات وتجفيف منابعها، والعمل علىٰ تحصين المجتمع ووقايته من شرورها؛ وهذا تمييز مفيد»[2].

❁ ثانيًا: مجالات العمل الخيري:

إِنَّ مجالات العمل الخيري لا يمكن حصرها في عدد مُعين، ومرجع ذلك كله إلىٰ اتساع مدلول الخير في الحياة الإنسانية، يقول الدكتور بكار: «وتتسع دائرة مدلول (الخير) لتشمل: الإحساس بالآخرين، والتعاطف معهم، والدعاء لهم، وتشجيعهم، ورفع معنوياتهم، ومواساتهم، ومنحهم الرؤية والمنهج، وإرشادهم لما فيه خير دينهم ودنياهم»[3].

ولعله من المفيد هنا أَنْ نُحيل القارئ إلىٰ كتاب: «**أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية**»، فقد ذكر ثلاثة وستين صورة من

---

(١) إبراهيم البيومي غانم: العمل الخيري. مفهومه وموقعه من مقاصد الشريعة، بحث منشور بمجلة حراء العدد (١٤) بتاريخ ٢٢ فبراير ٢٠١٧م.

(٢) د. عبد الكريم بكار: ثقافة العمل الخيري، صـ١٢.

(٣) د. عبد الكريم بكار: ثقافة العمل الخيري، صـ١٢.

صور العمل الخيري منها: إطعام الجائع، وسقاية العطشان، وكسوة العريان، وإيواء المشرد، وكفالة اليتيم، ورعاية الأرملة، وتفطير الصائم، وغرس الأشجار.... إلخ. وكلها أمور يمكن أَنْ يُقاس عليها مع تغير الأحوال وتبدُّل الظروف[1].

(١) د. يوسف عبدالله: أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، صـ ٥١: ١٠٠، ط. الثانية، دار الشروق، القاهرة سنة ٢٠٠٨م.

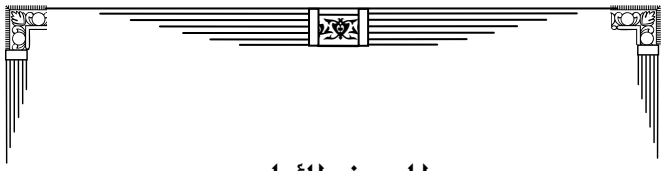

المبحث الأول

تأصيل العمل الخيري في الإسلام

إنَّ من يتأمل تاريخ الإنسانية؛ يُدرك أَنَّ العمل الخيري قد لازم الإنسان منذ وجوده علىٰ الأرض، فهو يمثل عطاءً إنسانيًا وتكافلًا بين شرائح المجتمع، ورافدًا من روافد التنمية المجتمعية والتضحية في سبيل سعادة الآخرين. ومن ثمَّ وجدنا المصلِحِينَ في كلِّ طور من أطوار البشرية، يدعون إلىٰ ألوان البر والخير ويحثون غيرهم علىٰ فعله والتخلق به، وإِنْ اختلفت مآربهم في الدعوة إليه. ومَنْ يتعقب العمل الخيري تحت راية الإسلام يتيقن أنَّ الإسلام قد «وسَّع دائرة الأعمال الخيرية؛ ليعم النفع ويكثر الخير، فكل الأعمال التي تُقدِّم نفعًا للإنسان أو الحيوان انطلاقًا من قيم التعاون والمساعدة والبر والتضحية والفداء ابتغاء مرضاة الله- تعالىٰ- فهي في ميزان الحسنات يوم القيامة»[(١)].

ويتيقن- أيضًا- أنَّ العمل الخيري يمثل ثمرة من أهم ثمار الإيمان بمفهومه الصحيح.[(٢)]

---

(١) د. فاتحة فاضل العبدلاوي: العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل، صـ١٢، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث (دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي ٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨م).

(٢) هناك بحث قيِّم للدكتورة أسماء محمد توفيق بركات الأستاذ المساعد بقسم العقيدة، كلية أصول الدين بجامعة أم القرىٰ، منشور بمجلة البحوث والدراسات الشرعية العدد الثاني شوال ١٤٣٣هـ =

المطلب الأول

تأصيل العمل الخيري من خلال القرآن الكريم

إذا تأملنا النصوص القرآنية أدركنا أنَّ العمل الخيري تطبيق عملي لروح الإيمان والأخلاق القرآنية، ومن أمثلة الآيات القرآنية التي تثبت العمل الخيري وفضائله وتطبيقاته العملية ما يلي:

١- قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢- وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩].

٣- وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

٤- وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

هذه الآيات وغيرها تؤكد- بما لا يدع مجالًا للشَّك- أصالة الدعوة القرآنية إلىٰ العمل الخيري.

= بعنوان: أثر العمل التطوعي علىٰ الإيمان (دراسة عقدية تأصيلية) بيَّنت فيه الباحثة حقيقة الإيمان وكيف يُسهم العمل التطوعي الخيري في ترسيخ الإيمان وزيادته في نفوس المسلمين.

المطلب الثاني

تأصيل العمل الخيري من خلال السُّنَّة النَّبويَّة

تُعدُّ السُّنَّة النَّبويَّة تطبيقًا عمليًا لنصوص القرآن الكريم، ولم تكن الدعوة النَّبوية إلىٰ ترسيخ العمل الخيري وتوسيع مجالاته أمرًا بعيدًا عن جوهر النصوص القرآنية. ومن أمثلة نصوص السُّنَّة النَّبويَّة التي ترسخ للعمل الخيري وتدعمه في نفوس المسلمين ما يلي:

١- ما رواه الشيخان: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(١).

٢- ما رواه مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيه**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب: قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-٧] حديث رقم (١٤٤٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: المنفق والممسك، حديث رقم (١٠١٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن، حديث رقم (٢٦٩٩).

٣- ما رواه البخاري في صحيحه: عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ**» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ**»(١).

كلُّ هذه النصوص النبوية وغيرها تؤصل للأعمال الخيرية التطوعيّة في ظل الإسلام، وتفتح الباب علىٰ مصراعيه لتشمل جميع ألوان البرِّ والصِّلة والنَّفقة والمساعدة، وكل ما من شأنه أن يُسهم في تنمية المجتمع وتحقيق الرضا لأهله، والتخفيف عنهم وإغاثتهم في أوقات الشدّة وعند نزول الكوارث بهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: علىٰ كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، حديث رقم (١٤٤٥).

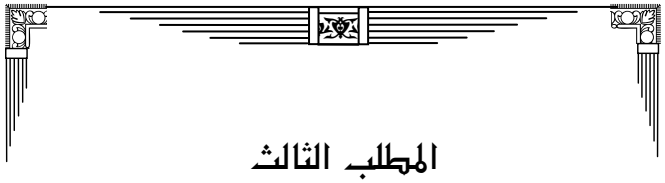

المطلب الثالث

تأصيل العمل الخيري من خلال أعمال الصحابة والتابعين وتابعيهم

تزخر كتب السِّير والتَّراجم والتَّاريخ بما يؤصل للعمل الخيري، من خلال أعمال الصَّحابة والتَّابعين وعلو هممهم في أعمال الخير والبر والتقوىٰ والإحسان، ولم تخلُ فترة زمنية من متطوعِينَ وفاعلِينَ للخير في شتىٰ جوانب الحياة. **ومن أمثلتهم:**

١- بئر رومة الذي اشتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه. جاء في صحيح البخاري، قال النبي ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ، فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلاَءِ المُسْلِمِينَ**» فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ رضي الله عنه(١).

٢- كان أبو طلحة أكثر الأنصار نخلًا بالمدينة. روىٰ البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢] جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، قَالَ:- وَكَانَتْ حَدِيقَةً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: في الشرب ومن رأىٰ صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، وبئر رومة: اسم لبئر معروفة في المدينة. والمراد بقوله (دلوه فيها كدلاء المسلمين) أي: يوقفها ويكون نصيبه منها كنصيب غير من المسلمين دون مزية.

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيَسْتَظِلُّ بِهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا-، فَهِيَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، أَرْجُو بِرَّهُ وَذُخْرَهُ، فَضَعْهَا أَيْ رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَخْ يَا أَبَا طَلْحَةَ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَرَدَدْنَاهُ عَلَيْكَ، فَاجْعَلْهُ فِي الأَقْرَبِينَ**»، فَتَصَدَّقَ بِهِ أَبُو طَلْحَةَ عَلَىٰ ذَوِي رَحِمِهِ[1].

مما سبق يتبين لنا أنَّ العمل الخيري له تأصيل ثابت في الإسلام، يتجلىٰ ذلك من خلال نصوص القرآن الكريم ونصوص السُّنَّة النَّبويَّة، وما أجمع عليه جمهور الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم إلىٰ يومنا هذا، وقد تنوعت وتعددت مجالات العمل الخيري فشملت جميع مناحي الحياة.

يتبين لنا- أيضًا- مظهر من مظاهر الرحمة الإنسانية وشموليتها لجميع الكائنات، فلا يقتصر تقديم المساعدات الإنسانية علىٰ المسلمين وحدهم بل تعداها إلىٰ غير المسلمين مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

والعمل الخيري في الإسلام لا يشمل المسلمين فقط، بل تتسع دائرته ليشمل غير المسلمين، وفق ضوابط شرعية وشروط يجب مراعاتها ذكرها الفقهاء.

كما أنَّ العمل الخيري لا يكون حكرًا علىٰ البشر فقط، أو موجهًا إليهم وحدهم، بل تتسع دائرته لتضم الكون بمخلوقاته من حيوان وطير وغير ذلك. وهذا ما سوف تعرضه الدراسة في المبحث التالي.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوصايا، باب: من تصدق إلىٰ وكيله ثم رد الوكيل إليه، حديث رقم (٢٧٥٨).

المبحث الثاني

معالم المنهج النبوي في العناية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

البيئة لغةً: مأخوذة من الفعل (بوأ) قال ابن منظور في اللسان: «باء إلىٰ الشيء يبوء بوءًا، أي رجع، وتبوأت منزلًا أي نزلته، والبيئة والمباءة والمباءة: المنزل، وباءت بيئة سوء علىٰ مثال (بيعة) أي بحال سوء»(١).

وتستعمل اليوم: في الحال الراهن للمكان المحيط بالإنسان. وحديثًا عرَّفها العلماء بأنها: «كل ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر علىٰ الصحة...»(٢).

ولعل من أبرز السِّمات التي يتسم بها العمل الخيري، وتجعله مقدمًا علىٰ سائر

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (بوأ) ط. الثالثة، دار صادر- بيروت- لبنان، سنة ١٤١٤هـ

(٢) سامح عبد السلام محمد، مقال بعنوان: مفهوم البيئة،

http://www.alukah.net/culture/0/59342

نقلًا عن مقال للدكتور أسامة عبد العزيز بعنوان (ماهية البيئة) منشور علىٰ شبكة الإنترنت لم أستطع الوصول إليه.

ويرىٰ بعض الباحثين أنَّ للبيئة مفهومين يُكمل بعضهما الآخر: «أولهما البيئة الحيوية، وهي كل ما يختص بالإنسان وبعلاقته بالمخلوقات الحية، الحيوانية والنباتية التي تعيش معه. أما ثانيهما فهي البيئة الطبيعية وتشمل موارد المياه، والفضلات، والتخلص منها، والحشرات وتربة الأرض، والمساكن والجو ونقاوته أو تلوثه...» (راجع: نفس المصدر السابق).

الطاعات، ما ذكره الدكتور عبد الملك منصور في بحثه الموسوم بعنوان: «العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني».. ما يلي:

– أَنَّه خالص لوجه الله وابتغاء مرضاته، لا ينتظر عائدًا من البشر ولا جزاءً ولا شكورًا.

– أَنَّه صادر عن نفسٍ سخيةٍ وروح أبيةٍ، لا يحركها إلىٰ العمل إِلَّا حب الخير وحب الضعفاء والمساكين والمحتاجين.

– أَنَّه عمل مجرد من هوىٰ النَّفس وحب الذات والطمع في عاجل الأجر والثواب (بعيدًا عن شهوة الشهرة والسمعة) من أجل ذلك يشق علينا أَنْ نجد في القرآن الكريم آية يُذكر فيها الإيمان بالله إِلَّا اقترنت بالعمل الصالح الذي يعتبر العمل الخيري جزءًا منه[1].

ومن ثمَّ وجدنا المنهج النبوي يُرغِّب في العمل الخيري، ويدعو إليه، ويجعله منهاجًا للمسلمين في شتىٰ جوانب الحياة؛ تحقيقًا للمصلحة العامة للأمة. ويمتاز هذا المنهج في ترسيخ العمل الخيري والدعوة إليه بالشمولية والتكامل؛ وبالتالي صلاحيته للتطبيق العملي في كل زمان ومكان حتىٰ قيام السَّاعة.

ونظرًا لتعدد مجالات العمل الخيري التي دعا إليها النبي ﷺ؛ فإننا نتناول جانبًا واحدًا يتعلق بالمنهج النَّبوي في مجال خدمة البيئة، وهو أمر تبدو فيه البراعة النَّبويّة في معالجة المشكلات البيئية، ويؤكد صلاحية السُّنَّة النَّبويَّة لكل زمان

(١) د. عبد الملك منصور: العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني، صـ٨، بحث مقدم إلىٰ مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي في الفترة ٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨م.

ومكان.

❁ **وسوف نعرض لملامح هذا المنهج في خمسة مطالب على النحو التالي:**

المطلب الأول: في العناية بالعجماوات والطير

المطلب الخامس: في مكافحة تلوث الهواء ونشر الثقافة الصحية

المطلب الرابع: في المحافظة علىٰ الماء والمجاري المائية

المطلب الثالث: في الاهتمام نظافة البيئة وإماطة الأذىٰ عن الطريق

المطلب الثاني: في العناية بالغرس والزرع ومحاربة التصحر

المطلب الأول

في العناية بالعجماوات والطير

تزخر كتب السُّنَّة النَّبويَّة بالأحاديث التي تحث علىٰ العنايّة بالعجماوات (الحيوانات) والطيور، كأحد أهم المكونات البيئيّة المحيطة بالإنسان، فقد سخّرها الله لنفع الإنسان وإعانته علىٰ القيام بمهمته في عمارة الأرض، ومِنْ ثَمَّ وجدنا المنهج النَّبوي يدعو إلىٰ العناية بالحيوان والطير بمختلف الطرق والوسائل؛ منها:

١. الرحمة بالحيوان:

روىٰ الشيخان في صحيحيهما عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**»(١).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة علىٰ وجوب رعاية الحيوان، وعدم حبسه وتعذيبه، وفيه أَنَّ تعذيب الحيوان بلا سبب واضح معصية تستوجب العقاب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق يُقتلن في الحرم، حديث رقم (٣٣١٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريم تعذيب الهرة ونحوها، حديث رقم (٢٢٤٢).

وعلىٰ النقيض من ذلك نجد أنَّ الإحسان إلىٰ الحيوان يكون سببًا في مغفرة الذنوب، روىٰ مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ** (أي: أخرج لسانه حتىٰ تُرىٰ حمرته)[1]، **فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا** (أي: استقت له بخفها) [2] **فَغُفِرَ لَهَا**»[3].

٢. النهي عن تعذيب الحيوان والطير والحث علىٰ استخدامه فيما خُلق له:

روىٰ الشيخان في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه دخل علىٰ يحيىٰ بن سعيد وغلام من بني يحيىٰ رابط دجاجة يرميها فمشىٰ إليها ابن عمر حتىٰ حلَّها، ثم أقبل بها وبالغلام معه فقال: ازجروا غلامكم عن أن يصبر (أي: يمسك شيء من ذوات الروح حيًا ثم يرمي بشيء حتىٰ يموت)[4] هذا الطير للقتل فإني سمعت النبي ﷺ «نهىٰ أن تُصبر بهيمة أو غيرها للقتل»[5].

ففي هذا الحديث نهىٰ عن تعذيب الحيوان والطير واتخاذه وسيلة للتسلية واللهو.

ولا بد من استخدام الحيوان فيما خُلق له كحديث استعمال البقر للحراثة

---

(١) ابن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر/ جـ٢ / ١٣٠.

(٢) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ جـ١٤ / ٢٤٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: فضل سقي البهائم وإطعامها، حديث رقم (٢٢٤٥).

(٤) ابن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر/ جـ٣ / ٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الذبائح والصيد، باب: ما يُكره من المُثلة والمصبورة والمجثمة، حديث رقم (٥٥١٤) ومسلم في صحيحه، كتاب: الصيد والذبائح، باب: النهي عن صبر البهائم حديث رقم (١٩٥٨).

الذي رواه الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَىٰ بَقَرَةٍ التَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، خُلِقْتُ لِلْحِرَاثَةِ..**»(١).

٣. الإحسان إلىٰ الحيوان والطير عند الذبح:

روىٰ مسلم في صحيحه: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»(٢).

يبدو في هذا الحديث أعلىٰ درجات الرحمة والشفقة علىٰ الحيوان والطير حتىٰ حال ذبحهما؛ لئلا يكون ذلك سببًا في تعذيبهما.

٤. العمل علىٰ إنشاء المحميات الطبيعية للحيوانات:

إنَّ ما فكر فيه علماء العصور الحديثة قد سبقهم إليه النبي ﷺ، فهم قد فكروا في إنشاء المحميات الطبيعية؛ لحماية بعض الحيوانات من خطر الانقراض، وقد سبقهم النَّبِيُّ ﷺ في تخصيص أماكن معينة للحيوانات، تنعم فيها بالأمن وتوفير الغذاء. فقد جعل رسول الله ﷺ المدينة المنورة محمية طبيعية لا يُمس فيها بسوء إِلَّا الحيوان المؤذي، ولا يُقطع فيها نبات إِلَّا ما اقتضته الضرورة. فعن أبي هريرة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: استعمال البقر للحراثة، حديث رقم (٢٣٢٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حديث رقم (٢٣٨٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم (١٩٥٥).

رضي الله عنه أنه كان يقول: لو رأيت الظباء ترتع بالمدينة ما ذعرتها، قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ لَابَتِيهَا حَرَام**»(١).

كما أنَّ النَّبِيَّ ﷺ جعل أماكن خاصة لإبل الصدقة ودواب بيت المال وخيل الجهاد فلا يرعىٰ فيها غيرها.

٥. النهي عن أخذ كرائم الأنعام في الزكاة:

ويأتي في إطار المحافظة علىٰ البيئة وإبقاء السلالات الطيبة ما وصىٰ به النبي ﷺ معاذ بن جبل عندما بعثه لأهل اليمن، فقد نهاه عن توخي أَنْفَس الأنعام وأخذها في الزكاة، فقال له: «**وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاس**»(٢).

وفي هذا التوجيه النَّبَوي الكريم حفظ لحقوق أصحابها من جانب، وحفظ لهذه السلالات الجيدة من الأنعام من جانب آخر.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل المدينة، باب: لابتىٰ المدينة. حديث رقم (١٨٧٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم (١٤٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان باب: الدعاء إلىٰ الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم (١٩).

المطلب الثاني

في العناية بالغرس والزرع ومحاربة التصحر

اهتمت السُّنَّة النَّبويَّة بالبيئة وتنميتها باستخدام كافة السُبل التي تحفظ توازنها؛ وذلك من خلال الدعوة إلىٰ الغرس والزرع ومحاربة كل ألوان التصحر، وسنعرض لهذا الموضوع في النقاط التالية:

١. حماية الحياة النباتية الطبيعية:

حثت السُّنَّة النَّبويَّة علىٰ المحافظة علىٰ الحياة النباتية الطبيعية، لا سيما في البيئة الصَّحراوية القاحلة، التي تمثل فيها النباتات الطبيعية وخاصَّة الأشجار ملاذًا آمنًا يأوي إليه النَّاس والطير في حِلِّهم وترحالهم، فعن عبد الله بن حُبشيٍّ قال: قال رسول الله ﷺ «**مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ**»(١).

يقول د. محمد عبد القادر الفقي: «ومن المعروف أَنَّ السِّدر ينبت في البوادي ويصبر علىٰ العطش، ويقاوم الحرَّ، وينتفع النُّاس بتفيؤ ظلاله والأكل من ثماره إذا اجتازوا الفيافي، فالمحافظة علىٰ السِّدر، بعدم قطعه، فيها رحمة بهذه الشجرة، وفيها -أيضًا- رحمة بمرتادي الصحراء إذ أَنَّها توفر لهم الثِّمار والظِّل في بيئة تتسم

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب: أبواب النوم، باب: في قطع السِّدر، حديث رقم (٥٢٣٩) وهذا حديث حسن لغيره.

بشدة القيظ فيها صيفًا. كما أنها كذلك رحمة بالطيور التي تأوي إلىٰ تلك الشجرة أو تأكل ثمارها»[(١)].

ولعلَّ ذلك يُفسِّر لنا تحريم الإسلام لقطع الأشجار وإزالة النباتات الموجودة في حيز الحرم المكي. فبقاء هذه الأشجار والنباتات يضمن: «توفير المأوىٰ والغذاء للطيور والحيوانات والحشرات التي تأوي إليها. فهي رحمة عامة بالبيئة وما فيها»[(٢)].

ويمكننا القول: إنَّ هذه الدعوة إلىٰ حماية الحياة النباتية الطبيعية تمثل حفاظًا علىٰ الإمكانات البيئية المتاحة؛ لتكون نواة طيبة لحفظ التوازن البيئي.

٢. تسوية الأرض وتمهيدها للزراعة:

ويدخل في باب المحافظة علىٰ البيئة -كذلك- حثُّ النَّبِيُّ ﷺ علىٰ تسوية الأرض وتمهيدها للزراعة. عن عائشةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ**»[(٣)] أي: أحق بملكيتها من غيره.

ففي هذا التوجيه النَّبوي تشجيع علىٰ استغلال الإمكانات البشرية وطاقتها في استصلاح الأرض وتمهيدها للزراعة، وهذا الأمر يساعد علىٰ مواجهة البطالة

(١) د. محمد عبد القادر الفقي: معالم الرحمة بالبيئة ومكوناتها في السنة النبوية الشريفة، بحث منشور بالمؤتمر الدولي للرحمة في الإسلام ، كلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨ – ٢٩ / ٤ / ١٤٣٧هـ - ٧ – ٨ فبراير ٢٠١٦م جـ٨ / ٤٠٠.

(٢) نفس المصدر السابق: جـ٨ / ٤٠٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضًا مواتًا، حديث رقم (٢٣٣٥).

والفقر. كما أَنَّه يمثل محافظة علىٰ البيئة ببقائها خضراء لنفع الإنسان والحيوان وحفظ التوازن البيئي للكون.

٣. العناية بالغرس والزرع:

ورد في السُّنَّة النَّبويَّة أحاديث كثيرة تحثُّ علىٰ الغرسِ والزرع وتُبشر الزراعَ بالثَّوابِ العظيم، وهذا يدل علىٰ أنَّ للزراعة فضلها العظيم، وأنَّ مكاسبها هي أطيب المكاسب. وكما هو معلوم أنَّ الزراعة تمثل حجر الزاوية في حفظ التوازن البيئي في الكون؛ لأَنَّ حياة الإنسان والحيوان والطير تعتمد اعتمادًا أساسيًا علىٰ النبات.

روىٰ البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيْمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةً**»(١) ففي هذا الحديث حث علىٰ الغرس والزراعة.

وقَدْ بَيَّن النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ العناية بالغرس والزرع تستمر في أمته حتىٰ قيام الساعة، فعن أَنَس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنْ قَامَتْ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ القِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيْلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا**»(٢).

فهذا الحديث فيه: «مبالغة في الحث علىٰ غرس الأشجار؛ لتبقىٰ هذه الدار عامرة إلىٰ آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع، وإن لم يبق من الدنيا إلا

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، حديث رقم (٢٣٢٠) وأخرجه مسلم في كتاب: المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، حديث رقم (١٥٥٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، حديث رقم (١٢٩٠٢) والحديث إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

القليل»[1].

ومن باب العنايّة بالغرس والزرع- أيضًا- حفظ حقِّ النَّبات في النمو في بيئة نظيفة، ويبدو ذلك واضحًا في التحذير من التلوث البيئي النَّاتج عن قضاء الحاجة (التبول أو التبرز) تحت الأشجار وأماكن ظلها وسقوط ثمارها. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا المَلَاعِنَ الثَّلَاثَة: البُرَاز فِي المَوَارِدِ، وقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَفِي الظِّلِّ**»[2].

وهذا التحذير يحفظ للنَّبات حقه في النّموِ في بيئة نظيفة طاهرة، ويجعل مَنْ يستظلون بظله في مأمن تام من التلوث ومخاطره، وتقل الأمراض المعدية، ويمكن أَنْ يُقاس علىٰ ذلك التحذير مما يفعله المزارعون اليوم من رش المبيدات الزراعيّة التي تسبب اضطرابًا ملحوظًا في دورة حياة النَّبات والبَشر الذين يتغذون عليه.

٤. الحث علىٰ محاربة التصحر:

ذكرنا آنفًا أَنَّ المنهج النبوي في خدمة البيئة يعتمد علىٰ استزراع الأرض، ودوام اخضرارها مدىٰ الحياة، وذلك لما يحققه النبات من نفع واضح للإنسان والحيوان وحفظ للتوازن البيئي، فالنَّباتُ ينتج الأكسجين وهو عنصر مهم من مكونات الهواء النقي ويمتص غاز ثاني أكسيد الكربون.

وقد حثَّ النَّبِيُّ ﷺ المسلمين علىٰ الغرس والزراعة من جانب، ومن الجانب الآخر حثَّ علىٰ محاربة التصحر وتبوير الأرض وعدم الاستفادة منها.

---

(١) المناوي: شرح الجامع الصغير، جـ٣/ ٣٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب: الطهارة، باب: المواضع التي نهىٰ النبي ﷺ عن التبول فيها، حديث رقم (٢٦) قال الألباني: حسن.

روتْ السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ**» أي: أحق بملكيتها دون غيره. قال عروة: «قضىٰ به عمر رضي الله عنه في خلافته»[(١)] وذلك الشرط النبوي يحمل في طياته محاربة التصحر والبطالة والفقر وهي مشكلات تعج بها مجتمعاتنا المعاصرة.

كما دعا النَّبِيُّ ﷺ إلىٰ عدم تبوير الأرض عند عجز صاحبها عن زراعتها، فأمر ﷺ بمنحها لمن يقدر علىٰ زراعتها، عن جابرٍ رضي الله عنه قال: كانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف فقال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَل فَلْيُمْسِك أَرْضَهُ**»[(٢)].

وفي سبيل محاربة كل ألوان التصحر أجاز الإسلام المزارعة بشطر ما تخرج الأرض -حتىٰ مع غير المسلمين- روىٰ البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: «أعطىٰ رسول الله ﷺ خيبر اليهود أَنْ يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها»[(٣)].

كلُّ هذه التوجيهات النَّبوية وغيرها تؤكد عناية السُّنَّة النَّبويَّة بالغرس والزرع ومحاربة التصحر؛ وصولًا لتحقيق التوازن البيئي، ولعل براعة المنهج النَّبوي تتضح في تقديم الحلول العملية الصالحة لكل زمان ومكان، وتحفيز المسلمين علىٰ الأعمال الخيرية تقربًا لله، وتحقيقًا للمصالح الدنيوية.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضًا مواتًا، حديث رقم (٢٣٣٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضًا في الزراعة والثمرة، حديث رقم (٢٣٤٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الشروط، باب: الشروط في المعاملة، حديث رقم (٢٧٢٠).

المطلب الثالث

في الاهتمام نظافة البيئة وإماطة الأذى عن الطريق

من أفضل الأعمال الخيرية التي دعا إليها النبي ﷺ: الحثُّ علىٰ نظافة البيئة عامة، وإماطة الأذىٰ عن الطريق خاصة، وإماطة الأذىٰ كلمة جامعة لكلِّ ألوان الإيذاء التي يواجهها النَّاس في طريقهم من تلوث ومخلفات ونفايات وغيرها.

وتُعد نظافة الطريق من الأمور المهمة لحماية البيئة من التلوث، «وقد ثبت علميًا وجود مجموعة من الأمراض تزيد وتنتشر في الطرق سيئة النظافة والتهوية، ومن تلك الأمراض: الإسهال، والتهاب الحلق المتكررش، والدرن، والحُمىٰ الروماتيزمية، وتزيد قذارة الطرق من تكاثر الحشرات كالذباب والفئران والصراصير...»[1].

لذا وجدنا النَّبي ﷺ يجعل إماطة الأذىٰ عن الطريق بابًا من أبواب الإحسان والصدقة؛ ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «... **وَيُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَة**»[2].

وفي حديث أبي هريرة- أيضًا- أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ** (وفي رواية: فأخره) **فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ**

(١) د. أيمن السعيد: أصول الطب الوقائي في الحديث النبوي. صـ٣٨ – ٣٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: من أخذ بالركاب ونحوه، حديث رقم (٢٩٨٩).

لَهُ»[1].

وقد عدَّ النَّبِيُّ ﷺ إماطة الأذىٰ عن الطريق شُعبة من شُعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ**»[2].

وقد عدَّ النبي ﷺ هذا العمل الخيري (إماطة الأذىٰ عن الطريق) بابًا من أبواب دخول الجنَّة والتقلب في نعيمها السرمدي. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِيَ النَّاسَ**»[3].

وينبغي أَلَّا يُفهم هذا التوجيه النَّبوي فهمًا مغلوطًا كما يفعل بعض العامة من النَّاس، فيقطعون الأشجار الموجودة علىٰ ظهر الطريق لأسباب غير مقبولة، فالأمر مرهون بإيذاء هذه الشجرة للنَّاسِ المارين في الطريق، وإِنَّما يجب علىٰ المسؤولين المحافظة علىٰ هذه الأشجار وحمايتها ورعايتها وتهذيبها، ولا يكون العلاج السَّريع عند بعض ضعاف الأفهام بالإسراع في قطعها.

مما سبق يبدو لنا أن العناية بنظافة البيئة بكل مفرداتها وإماطة الأذىٰ عن طريق النَّاسِ عمل خيري يحفظ للقائمين به إنسانيتهم وحبهم لمجتمعاتهم وأوطانهم، ويُعلي من شأنهم بما يجدونه من ثواب عظيم ينتظرهم يوم القيامة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم والغصب، باب: من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمي به، حديث رقم (٢٤٧٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل إزالة الأذىٰ عن الطريق. حديث رقم (١٩١٤).

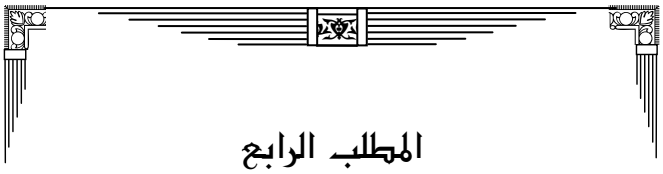

المطلب الرابع

في المحافظة على الماء والمجاري المائية

تزخر السُّنَّة النَّبويَّة بتوجيهات عظيمة في مجال المحافظة علىٰ الماء والمجاري المائية؛ لأَنَّ الماء سرُّ الحياة. قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠] فالماء من أعظم النِّعم التي أسبغها الله- سبحانه وتعالىٰ- علىٰ خلقه. ومن هذه النعمة خرجت كل أنواع الحياة البشرية والحيوانية والنباتية، ولا بقاء لأي من هذه الحيوات دون الماء. وتحفل آيات القرآن الكريم بكثير من التوجيهات والمبادئ والقواعد التي تدعو إلىٰ حسن التعامل مع الماء باعتباره نعمة إلهية، وتحض علىٰ تقديرها حقَّ قدرها، وتحذر من تعرضها للفساد أو للهدر أو للتلوث.

وتحفل الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وتحفل مصادر تراثنا الفقهي العريق بتلك التوجيهات- أيضًا- وتبشر هذه التوجيهات الذين يحسنون استخدام الماء بالحياة الطيبة في الدنيا وبالثَّواب الجزيل والأجر العظيم يوم الحساب، وتتوعد الذين يسيئون استخدامه بالعقاب وسوء المصير؛ إذ أنَّ العدوان علىٰ الماء هو عدوان علىٰ الحياة ذاتها، وقد يكون فيه إزهاق للأنفس والأرواح، وتضييع لقصد أو أكثر

من مقاصد الشريعة[1].

وتتجلىٰ صور المحافظة علىٰ الماء والمجاري المائية في المنهج النبوي من خلال النقاط التالية:

١- الأمر بالتوسط والاعتدال في استخدام الماء وعدم الإسراف فيه:

ومما يدل علىٰ ذلك ما رُوِيَ عن ابن عمرو -رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مرَّ بسعد وهو يتوضأ، فقال: «**ما هذا السرف يا سعد**»؟! فقال: وهل في الماء من سرف؟ قال: «**نعم، وإن كنت علىٰ نهر جار**»[2].

ففي هذا الحديث: بيان لأهمية الماء وفضله، ودعوة إلىٰ عدم الإسراف فيه حتىٰ في الطاعات، فما بالنا بمن يستخدمون الماء في أيامنا هذه ويسرفون فيها رفاهية من جانب، وإهمالًا من جانب آخر بعدم أخذهم الحيطة والحذر في غلق صنابير المياه وإصلاح ما بها من أعطال؛ ينتج عنها إهدار ملايين الأمتار من المياه التي تضيع هباء منثورًا.

وللحد من الإسراف في استخدام الماء نهىٰ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يزيد المسلم في وضوءه عن الثلاث، رُوِيَ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده- رضي الله عنهم- قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ يسأله عن الوضوء فأراه الوضوء ثلاثًا ثلاثًا،

---

(١) إبراهيم البيومي غانم: نعمة المياه بمعايير المقاصد الشرعية، بحث منشور بمجلة حراء ، قضايا فكرية ، العدد رقم (٤٧) الصادر في ١٧ نوفمبر، ٢٠١٦م. http://hiragate.com.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، كتاب مسند عبدالله بن عمرو بن العاص ، حديث رقم (٧٠٦٥) ، ج ١١ / ٦٣٧ ، ط. الرسالة ، وأخرجه ابن ماجة في سننه بنفس الإسناد ، كتاب: أبواب الطهارة وسننها ، باب: في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه ، حديث رقم (٤٢٥) والحديث إسناده ضعيف.

ثم قال: «**هكذا الوضوء، فمن زاد علىٰ هذا فقد أساء وتعدَّىٰ وظلم**»[1].

٢-الحث علىٰ نظافة الماء والنهي عن تلويثها:

فقد دعا النَّبِيُّ ﷺ إلىٰ نظافة الماء وعدم تلويثه، لذلك وجدنا النَّبي ﷺ ينهىٰ عن التبول في الماء الراكد، رُوِيَ عن جابر رضي الله عنه أَنَّه قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ أن يُبال في الماء الراكد»[2].

وفي حديث آخر أخرجه الطّبراني في معجمه الأوسط عن جابر رضي الله عنه- أيضًا-: «أَنَّ رسول الله ﷺ نهىٰ أن يُبال في الماء الجاري»[3].

جاء في «الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة»: أنَّ الماء الراكد يُعدُّ «جوًا ملائمًا لنمو الكثير من البكتيريا كالكوليرا والسالمونيلا والشيجلا وغير ذلك، كما تحتاج بعض الطفيليات الأولية والديدان كالزحار الأميبي والديدان المستديرة والبلهارسيا إلىٰ الماء لإكمال دورة حياتها خارج جسم الإنسان، ويساعد التبول والتبرز علىٰ نمو هذه الطفيليات والديدان وسرعة تكاثرها وانتشارها»[4].

---

(١) رواه النسائي في سننه الصغرىٰ، كتاب الطهارة، باب: الاعتداء في الوضوء، حديث رقم (١٤٠). قال الألباني: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن البول في الماء الراكد، حديث رقم (٢٨١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ، باب الألف ، من اسمه أحمد ، حديث رقم (١٧٤٩) ، ج ٢ / ٢٠٨.

(٤) د. أحمد مصطفىٰ متولي: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، صـ١٠٤٧. ط. الأولىٰ، دار ابن الجوزي- القاهرة سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

ففي هذا النّص النبوي دعوة إلىٰ المحافظة علىٰ الماء نظيفًا طاهرًا ونهىٰ عن تلويثه بما ينتج عن هذا الفعل المشين من قذارة ونجاسة، تكون سببًا في تفشي الأمراض والأوبئة. هذا وقد بالغ الفقهاء في هذا الحكم بأن كرهوا التّبول والتغوط بالقرب من الماء والمجاري المائية. وقد نهىٰ النَّبِيُّ ﷺ عن إفساد الماء علىٰ الأعداء حتىٰ في أوقات الحروب، فنهىٰ عن إلقاء السم في الماء، رُوِيَ عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ: «نهىٰ أن يُلقىٰ السُّمُ في آبار المشركين»(١).

وكان ﷺ يحذر الجيوش والسَّرايا من العبث بالماء وتغوير الآبار وأعين الماء، رحمة بالنَّاسِ وحماية للماءِ وحفظًا لسرِّ الحياة والبقاء، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان النَّبِيُّ ﷺ إذا بعث جيشًا من المسلمين إلىٰ المشركين قال: «**انطلقوا باسم الله... ولا تغورنَّ عينًا**»(٢).

(١) رواه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب،في مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، حديث رقم (٣٤٨٤) ، جـ ٤ / ٣٣٦ ، ط. الأولىٰ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(٢) رواه البيهقي في سننه الكبرىٰ، كتاب: جماع أبواب السير، باب: ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرها، حديث رقم (١٨١٥٥) قال البيهقي: في هذا الإسناد إرسال وضعف، وهو بشواهده علىٰ ما فيه من الآثار يقوي، والله أعلم. جـ٩ / ١٥٤.

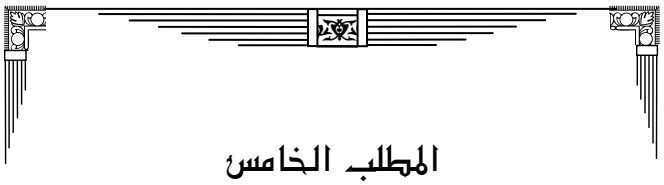

المطلب الخامس

في مكافحة تلوث الهواء ونشر الثقافة الصحية

تزخر كتب السُّنَّة النَّبويَّة بتوجيهات عظيمة تحفظ البيئة من التلوث وتساهم في نشر الثقافة الصحيّة بين جنبات المجتمع، وتتجلىٰ وسائل مكافحة تلوث الهواء ونشر الثقافة الصحية فيما يلي:

١. الحث علىٰ زراعة الأشجار والنَّهي عن قطعها دون داعٍ:

حيث تمد الأشجار البيئة بالبهجة وروعة المنظر من جانب، وتمد الإنسان بالأكسجين اللازم للتنفس، والشواهد النَّبوية علىٰ فضل الغرس والزرع ذكرنا جانبًا منها آنفًا.

وجاء النَّهي عن قطع الأشجار لما لها من دور في تنقية الهواء، وبلغ الأمر في حماية الأشجار وعدم قطعها حتىٰ في أوقات الحروب، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا بعث جيشًا من المسلمين إلىٰ المشركين قال: «**... ولا تعقرنَّ شجرًا إلا شجرًا يمنعكم قتالًا، أو يحجز بينكم وبين المشركين...**»[(١)].

(١) رواه البيهقي في سننه الكبرىٰ، كتاب: جماع أبواب السير، باب: ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرها، حديث رقم (١٨١٥٥).

٢. **النهي عن البصاق في الطريق**[(١)]:

لقد حرص النَّبِيُّ ﷺ علىٰ نظافة البيئة ومنها النَّهي عن البُصاق، وإن كانت معظم النصوص الواردة في السُّنَّة في هذا الجانب تتعلق بالمسجد، إِلَّا أَنَّ التوجيهات النّبوية لها صفة العمومية، فعلىٰ الرغم من أَنَّ كُتب السُّنة صدرت لهذا الموضوع بعناوين مثل: (باب في كراهة البزاق في المسجد)، و(ذكر الإخبار عن كفارة الخطيئة التي تُكتب لمن بصق في المسجد) وغير ذلك، إِلَّا أنَّ الطبع والفطرة السليمة وما أثبته العلم الحديث من أضرار البصاق يجعلنا ندرك خطورة البصق في الطرقات، فما ذكره النَّبِيُّ ﷺ من زجر للباصقين في فناء المسجد وتجاه القبلة، وما ورد من أمرهم بدفنها يشمل البصاق في المسجد وغيره من الطرقات والأماكن العامة حفاظًا علىٰ نظافة البيئة ونشرًا للثقافة الصحية العامة بين الناس، ومنعًا لانتشار الأمراض والأوبئة.

رَوَىٰ ابنُ حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**»[(٢)].

وَرَوَىٰ أبو داود في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**»[(٣)].

---

(١) جاء في جريدة الرياض السعودية العدد (١٤٤٨٣) الصادر يوم الاثنين ١١ صفر ١٤٢٩هـ - ١٨ فبراير ٢٠٠٨م أنَّ البصق يسبب ٧٠٪من الأمراض الفيروسية.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: المساجد، باب: ذكر الإخبار عن كفارة الخطيئة التي تُكتب لمن بصق في المسجد، حديث رقم (١٦٣٧)، جـ٤ / ٥١٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: كفارة البزاق في المسجد، حديث رقم (٤١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن البصاق في =

وَرَوَىٰ مسلمٌ في صحيحه وابن حبان، عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «**عُرضت عليَّ أمتي بأعمالها حسنةٍ وسيئةٍ، فرأيت في محاسن أعمالها الأذىٰ يُماط عن الطريق، ورأيت في مساوئ أعمالها النخامة في المسجد لا تدفن**»(١).

فكل هذه النصوص وغيرها تؤكد أنَّ البصاق أمر خطير ينبغي التخلص منه داخل المسجد وخارجه؛ مراعاة للذوق السّليم والصّحة العامة. وهذا التوجيه النَّبوي يُرسخ للمحافظة علىٰ البيئة ونشر الثقافة الصحية قبل أن يعرف طريقها عالمنا المتحضر.

٣. الأمر بدفن قتلىٰ الحروب حفاظًا علىٰ البيئة:

ذكر الدكتور عبد المحسن أحمد محمد في بحثه الموسوم بعنوان: «رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين في أثناء الحرب»، ما يؤكد حرص النَّبِيُّ ﷺ علىٰ مكافحة تلوث البيئة ونشر الثقافة الصحية عن طريق الأمر بدفن القتلىٰ وشهداء الحروب، وعدم تركها في العراء؛ لئلا تكون مصدرًا لنقل الأوبئة والأمراض، يقول: «حفاظًا علىٰ البيئة من التلوث وخوفًا من انتشار الوباء والأمراض التي تنتج عن بقاء القتلىٰ في العراء، ومراعاة لتكريم الله- تعالىٰ- لبني آدم أحياءً وأمواتًا.

= المسجد، حديث رقم (٥٥٢)، وأبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: في كراهة البزاق في المسجد، حديث رقم (٤٧٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، حديث رقم (٥٥٣) وابن حبان في صحيحه، كتاب: المساجد، باب: ذكر البيان بأن النخاعة في المسجد من مساوئ أعمال بني آدم في القيامة، حديث رقم (١٦٤٠)، جـ٤ / ٥١٨.

كان النبي ﷺ يحرص علىٰ دفن شهداء الحرب والقتلىٰ من المشركين، ففي غزوة بدر دفن الرسول ﷺ الشهداء ثم دفن قتلىٰ المشركين ببدر، ثم وقف يخاطبهم ويسألهم عن وعيد الله تعالىٰ لهم»[1].

كما نهىٰ ﷺ عن التمثيل بجثث القتلىٰ من المشركين؛ لئلا يصيروا جيفًا تفوح منها الروائح الكريهة التي تلوث البيئة وتنشر الأمراض والأوبئة، قال النبي ﷺ في وصيته للجيوش: «**... ولا تمثلوا بآدمي ولا بهيمة، ولا تغدروا، ولا تغلوا**»[2].

٤. الأمر بتغطية الأواني:

قال رسول الله ﷺ: «**غطوا الإناء وأوكئوا السقاء، فإن في السنة ليلةٌ ينزل فيها وباء، لا يمرُّ بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه ذلك الوباء**»[3].

جاء في بيان الإعجاز العلمي الطبي لهذا النَّص النَّبوي أنَّ الطب الحديث قد أثبت أنَّ النَّبِيَّ ﷺ هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصّحة بالاحتراز من عدوىٰ الأوبئة والأمراض المعدية.

---

(١) د. عبد المحسن أحمد محمد: رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين في أثناء الحرب، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، بكلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨- ٢٩/ ٤ / ١٤٣٧هـ - ٧- ٨ فبراير ٢٠١٦م، جـ٨ / ٤٦١.

(٢) رواه البيهقي في سننه الكبرىٰ، كتاب: جماع أبواب السير، باب: ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرها، حديث رقم (١٨١٥٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، حديث رقم (٢٠١٤).

فقد تبين أنَّ الأمراض المعدية تسري في مواسم معينة مِنَ السَّنَة، بل إِنَّ بعضها يظهر في عدد معين من السنوات، وحسب نظام دقيق، لا يُعرف تعليله حتىٰ الآن، ومن أمثلة ذلك: أَنَّ الحصبة وشلل الأطفال تكثر في سبتمبر وأكتوبر، والتيفود يكثر في الصيف، أَمَّا الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات والجدري كل ثلاث سنوات. وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول النبي ﷺ: «**فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء**» أي: أوبئة موسمية ولها أوقات معينة[1]

(١) د. أحمد مصطفىٰ متولي: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، صـ١٠١٤.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

❁ **أفرز هذا البحث عدة نتائج من أهمها:**

أولًا: للعمل الخيري مفهوم واسع يشمل كل عمل تطوعي يقوم به الفرد من أجل نفع الآخرين وإسعادهم، وهو ركيزة أساسية من ركائز الإسلام ودعامة من دعائم عقيدة المسلم. ومن ثمَّ تعددت مجالاته في ضوء المقاصد الشرعية.

ثانيًا: العمل الخيري له تأصيل ثابت في الإسلام، ويتجلىٰ ذلك من خلال استقراء النّصوص القرآنية ونصوص السُّنَّة النَّبويَّة، وما كان عليه عمل الصَّحابة والتَّابعين.

ثالثًا: لم تخلُ فترة من فترات التاريخ الإسلامي من أُناس عُرفوا بعلو الهمة منذ عصر النّبوة إلىٰ يومنا هذا، دأبت نفوسهم علىٰ الأعمال الخيرية في جميع المجالات الحياتية.

رابعًا: المنهج النَّبوي في ترسيخ العمل الخيري والدعوة إليه منهج يهدف إلىٰ تحقيق المصالح العامة للأمة، ويمتاز بالشمولية والتكامل وبالتالي صلاحيته للتطبيق العملي في كل زمان ومكان حتىٰ قيام الساعة.

خامسًا: قدمت السُّنَّة النَّبويَّة حلولًا عملية وإجرائية في مجالات خدمة البيئة

من خلال عنايته بالعجماوت والطير، والحث علىٰ الغرس والزرع ومحاربة كل أشكال التصحر، والدعوة إلىٰ نظافة البيئة واتخاذ كل الوسائل التي تكافح التلوث بجميع صوره وأشكاله، كما وجدنا السُّنَّة النَّبويَّة تولي عناية خاصة بالماء والمحافظة عليه؛ ليتحقق التوازن البيئي المنشود، كما أولت السُّنَّة النَّبويَّة عناية فائقة في سبيل نشر الثقافة الصِّحية ومكافحة تلوث الهواء.

سادسًا: سبقت السُّنَّة النَّبويَّة في مجالات العمل الخيري في خدمة البيئة ما فطنت إليه المنظمات البيئية في وقتنا الحاضر، فعلىٰ سبيل المثال: إنشاء المحميات الطبيعية للحيوانات والنباتات، واحترام الحيوانات والطيور ورعاية مصالحها، وحماية الحياة النباتية الطبيعية، وحماية البيئة المائية من أخطار التلوث ومكافحة تلوث الهواء. كلها أمور تهتم بها المنظمات البيئية الحديثة وقد بينا أنَّ السُّنَّة النَّبويَّة سبقت كلَّ هؤلاء.

❁ من أبرز توصيات البحث ما يلي:

أولًا: ضرورة الاهتمام بنشر ثقافة العمل الخيري في جميع مناحي الحياة، واستثمار طاقات الشباب والرجال والنِّساء في كل ما من شأنه أَنْ يعود بالنَّفع علىٰ المجتمع الإسلامي الحديث.

ثانيًا: العمل علىٰ إدخال مفاهيم العمل الخيري ومجالاته وتطبيقاته في جميع المراحل التعليمية بالمدارس والجامعات والمعاهد العربية والإسلامية، وترسيخ ثقافة العمل الخيري في نفوس الدارسين من خلال القرآن الكريم ونصوص السُّنَّة النَّبويَّة.

ثالثًا: ضرورة العمل علىٰ تغيير مفهوم العمل الخيري المترسخ في نفوس المسلمين الذي ينحصر في تقديم المساعدات المادية للمحتاجين فقط، فينبغي

النَّظر إلىٰ العمل الخيري علىٰ أَنَّه رافد أساسي من روافد التنمية للمجتمعات العربية والإسلامية كما هو الحال في الدول المتقدمة كأمريكا وبريطانيا وغيرها.

رابعًا: ينبغي علىٰ الكُتَّاب والخطباء والإعلاميين تقديم النَّماذج الناجحة في الأعمال الخيرية من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلىٰ يومنا هذا؛ لتحفيز الأجيال الحالية علىٰ الاقتداء بهم والسير علىٰ نهجهم؛ لتحقيق الصالح العام للأمة.

خامسًا: ينبغي العمل علىٰ إنشاء مؤسسات مجتمعية ودولية إسلامية تُعنىٰ بتنظيم العمل الخيري البيئي ونشر قواعده وآدابه بين جنبات المجتمع.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم البيومي غانم: العمل الخيري. مفهومه وموقعه من مقاصد الشريعة، بحث منشور بمجلة حراء العدد (١٤) بتاريخ ٢٢ فبراير ٢٠١٧م.

٢- إبراهيم البيومي غانم: نعمة المياه بمعايير المقاصد الشرعية، بحث منشور بمجلة حراء، قضايا فكرية، العدد رقم (٤٧) الصادر في ١٧ نوفمبر، ٢٠١٦ م. http://hiragate.com

٣- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٤- أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط. الثانية، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣٩٢هـ.

٥- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المجتبىٰ من السنن= السنن الصغرىٰ للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط. الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم،

الأشقودري الألباني (المتوفىٰ: ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط. الأولىٰ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٧- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفىٰ: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الأولىٰ، دار الحديث - القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٨- أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفىٰ: ٤٥٨هـ)، السنن الكبرىٰ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط. الثالثة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٩- جريدة الرياض السعودية العدد (١٤٤٨٣) الصادر يوم الاثنين ١١ صفر ١٤٢٩هـ - ١٨ فبراير ٢٠٠٨م [http://www.alriyadh.com/318830

١٠- د. أحمد مصطفىٰ متولي: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، ط. الأولىٰ، دار ابن الجوزي- القاهرة سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

١١- د. عبد الكريم بكار: ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها وكيف نعممها؟! ط. الأولىٰ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة سنة ٢٠١١م

١٢- د. عبد المحسن أحمد محمد: رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين في أثناء الحرب، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، بكلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨- ٢٩/ ٤ / ١٤٣٧هـ - ٧- ٨ فبراير ٢٠١٦م، المجلد الثامن.

١٣- د. عبد الملك منصور: العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني، صـ٨، بحث مقدم إلىٰ مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث بدائرة الشؤون الإسلامية

والعمل الخيري بدبي في الفترة ٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨م

١٤- د. فاتحة فاضل العبدلاوي: العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث (دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي ٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨م).

١٥- د. محمد صالح جواد مهدي: العمل الخيري دراسة تأصيلية تاريخية، مجلة سُرَّ من رأىٰ، المجلد الثامن، العدد (٣٠) السنة الثامنة، جامعة سمراء- بغداد سنة ٢٠١٢م

١٦- د. محمد عبد القادر الفقي: معالم الرحمة بالبيئة ومكوناتها في السُّنَّة النَّبويَّة الشريفة، بحث منشور بالمؤتمر الدولي للرحمة في الإسلام بقسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨ – ٢٩ / ٤ / ١٤٣٧هـ - ٧ – ٨ فبراير ٢٠١٦م، المجلد الثامن.

١٧- د. يوسف عبدالله: أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، ط. الثانية، دار الشروق، القاهرة سنة ٢٠٠٨م

١٨- سامح عبد السلام محمد، مقال بعنوان: مفهوم البيئة، منشور علىٰ شبكة الألوكة http://www.alukah.net/culture/0/59342

١٩- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفىٰ: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط. دار الحرمين – القاهرة.

٢٠- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفىٰ: ٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر،

تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ - محمود محمد الطناحي، ط.المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢١- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفىٰ: ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط. الأولىٰ مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٢- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقىٰ (المتوفىٰ: ٧١١هـ): لسان العرب، ط. الثالثة دار صادر - بيروت- ١٤١٤ هـ

٢٢- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط. الأولىٰ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢٣- د. أسماء محمد توفيق بركات، أثر العمل التطوعي علىٰ الإيمان (دراسة عقدية تأصيلية)، مجلة البحوث والدراسات الشرعية العدد الثاني شوال ١٤٣٣هـ، جامعة أم القرىٰ.

٢٤- د. أيمن محمود السعيد، أصول الطب الوقائي في الحديث النبوي:، كتاب الإعجاز في القرآن والسنة، العدد (٥)، ط١،(١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة: القاهرة.

٢٥- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفىٰ: ١٠٣١هـ): التيسير بشرح الجامع

الصغير، ط. الثالثة، مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٦- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. الأولىٰ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) سنة ١٤٢٢هـ.

٢٧- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار إحياء التراث العربي.الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.